ربما ذكرها عند اليقظة ذكرًا تامًّا او جزئيًّا هي الحلم . وهذه الاعمال العقليَّة تجري حينئذ بدون سلطة الارادة وبدون قوَّة ضابطة لها فتكون تارةً منتظمة على شكل ما يخالج العقل مدة اليقظة وتارة مشوَّشةً بلا انتظام ولا ارتباط وتكون تارة لذيذة وتارة مزعجة . وهي ناشئة عن حالة الدماغ ذلك الوقت وتابعة لحالة الصحة وللافكار السابقة وبعض الكيفيَّات المحيطة بالنائم كراحة الفراش ووضع الجسد وحجب النور وهدو الاصوات ونقاوة الهواء وخلوّ المعدة من الاطعمة العسرة الهضم . فمن اراد ان يرى احلامًا لذيذة ويتخلص من الرؤى المخيفة وجب عليه الالتفات الى هذه الامور البسيطة

منافع اوربا ومضارها

رأى ابناء هذا العصر من غرائب العمران ما لم يرَهُ ابناء عصرٍ آخر من العصور الغابرة . فقد قامت فيه الامم الاوربيَّة ولا سيما اهالي الشمال منهم كالانكليز والالمان وضربوا في انحاء المعمورة شرقًا وغربًا وطافوا حول جزائر المحيط ورادوا مجاهل افريقية فالفوا تلك البلدان عامرةً بسكانها واكثرهم اقوام صحيح مخطون عقلاً وادبًا وصناعة وزراعةً كأنهم لا يزالون على الفطرة الاولى بل كأنهم انحطوا عنها حتى ماثلوا العجماوات . وبعضهم ارقى من بعض ولكن ليس منهم من يستحق ان يقابل بالاوربيين او بابناء بلادنا الذين اقتبسوا العمران الاوربي او باسلافنا الذين شاع بينهم العمران الغربي والروماني والمصري وذلك ليس من حيث صحة الابدان ورسوخ الآداب بل من حيث العلوم والفنون وسائر الوسائل الَّتي توسّع المعارف وتسهل اكتساب المعاش . حتى لقد زعم بعض العلماء انهُ يستحيل ان يكون الناس كلهم من اب واحد او من اصل واحد لما بينهم من التباين العظيم ظاهرًا . وسواءٌ كان اولئك الاقوام باقين على الفطرة الاولى كما يذهب الجمهور او منحطين عنها كما يذهب فريق من العلماء فهذه هي حالهم الَّتي رآهم فيها ابناء هذا العصر اول ما دخلوا بلادهم ولا يزال كثيرون منهم فيها حتى يومنا هذا

والعمران الاوربي الذي أُزجي في بلادهم ازجاءً لم يفدهم كلهم ولا نعل بهم على حلٍّ سوى بل اضرَّ باكثرهم ضررًا بليغًا . فالاميركيون الاصليون الذي وُجدوا في قارَّتي اميركا حينما دخلها الاوربيون منذ ايام كولمبوس انقرض الجانب الاكبر منهم وزال عمرانهم حتى امسى اثرًا بعد عين فلم يبقَ من شعوب المكسيك الذين وجدهم

كورتس الاسباني سنة ١٥١٩ في حالة من العمران ارقى من العمران الاسباني من وجوه كثيرة ووجد مدنهم آهلة بالسكان وحقوق نسائهم مثل حقوق رجالهم ومنهنّ يتعلمن مثلهم القراءة والكتابة وسائر الفنون — لم يبقَ منهم سوى ملايين قليلة عائشة عيشة البداوة والذل

صورة هندي من هنود اميركا

والهنود الاميركيون الذين كانوا في الولايات المتحدة لم يكونوا في حالة صالحة من العمران حينما دخل الاوربيون بلادهم لكنّ اتصال الاوربيين بهم كاد يقرضهم ولم يزدهم الاّ همجيةً وقد احصت حكومة اميركا عدد هنودها سنة ١٨٤٠ فوجدتهم ٤٠٠ الف نفس

وسنة ١٨٥٥ فوجدتهم ٣٥٠ الفاً وسنة ١٨٧٢ فوجدتهم ٣٠٠ الف وسنة ١٨٧٩ فوجدتهم ٢٥٣ الفاً . ومعلوم ان اهالي اوربا واميركا الراتعين في بحبوحة العمران يزدادون عدداً وقوةً عاماً فعاماً واهالي الصين واليابان وغيرهم من الشعوب القديمة المتمدنة قد تضاعف عددهم مراراً في القرون الاخيرة وان المتوحشين الذين لم يرتدوا بحلة التمدن الاوربي يزدادون عدداً اكثر من الانكليز والالمان فقد كان عدد بعض الزنوج مليوناً واحداً سنة ١٨١٠ فاصبحوا سنة ١٨٨٠ ستة ملايين فزادوا خمسة اضعاف في تسعين سنة ولذلك فانقراض الهنود الاميركيين ونحوهم من الشعوب طارىء وسببهُ الفاتح والتاجر فان الفاتح لا يهمهُ الاَّ تدويخ البلاد واخضاع سكانها او طردهم من اوطانهم والاستيلاء عليها . والتاجر لا يهمهُ الاَّ ترويج بضاعته ولو كانت المسكر والبارود والسم الزعاف . فالاول اثخن في الاهلين ومكن البغض والعداوة في قلوبهم . والثاني اغرقهم في بحار المسكرات واماتهم عقلاً وادباً وسلحهم بالبنادق ليقتل بعضهم بعضاً وادخل فيهم بلادهم الامراض والاوبئة

ويأتي بعد هذين دعاة الدين وهم في الغالب اهل دعة ومسالمة وغيرة صحيحة على خير العباد فيصلحون ما افسدهُ ذانك وقد يفلحون في ترقية الشعوب بعد انحطاطها وانعاشها بعد انقراضها وقد لا يفلحون الاَّ في اصلاح الشؤون الظاهرة ويبقى النسل آخذاً في القلة والشعب في الانقراض لان تغيير العادات من حيث المأكل والمشرب والملبس والمأوى لا تصلح نتائجهُ الاَّ بعد ازمان طويلة فاذا بقيت من الشعب بقيَّة الى ان يعتاد هذه العادات الجديدة عاد الى النمو والارتقاء كما حدث لهنود اميركا الآن فان عددهم عاد الى الزيادة بعد النقصان . وعلى ذلك امثلة كثيرة في تاريخ اميركا وافريقية وجزائر البحر

منها ان سكان جنوبي اميركا الجنوبيَّة كانوا من اقوى الناس بنية واطولهم قامة واحسنهم اخلاقاً حينما رآهم الاوربيون اول مرة منذ ثلثمئة وسبعين سنة فلما اتصل بهم الفاتح والتاجر فسدت آدابهم وضؤلت ابدانهم وقلَّ عددهم حتى كادوا ينقرضون . وزارهم الشهير دارون منذ نحو ستين سنة ورأى انغماسهم في الشرور وتسلط الهمجيَّة عليهم فقال انهُ يستحيل ان يرتقوا من الحالة التي هم فيها . واتخذ قولهُ حجة . لكن دعاة الدين واظبوا على تعليمهم وانذارهم فافلحوا . وسنة ١٨٨٥ كتب بعضهم الى جريدة الدايلي نيوز يقول "ان ما كتب في هذه الجريدة امس دعاني الى بسط حقيقة الحال من جهة صديقي ورفيقي المرحوم دارون وجمعيَّة المرسلين في اميركا الجنوبيَّة فقد قال لي دارون مراراً

كثيرة انهُ لا فائدة من ارسال المرسلين الى الفيوجيين (سكان الطرف الجنوبي من اميركا الجنوبيَّة) لانهُ يحسبهم احط طوائف الناس فكنت اجيبهُ انني على غير رأيهِ وان الناس مهما انحطت درجتهم لا يتعذر اصلاحهم. وسنة ١٨٦٩ كتب اليَّ ان ما قرأهُ حديثًا عن نجاح المرسلين في تلك البلاد اقنعهُ بانهُ كان مخطئًا في حكمهِ على اهاليها وانني انا كنتُ مصيبًا وبعث اليَّ بمبلغ من المال لكي اعطيهُ للمرسلين علامة لسرورهِ من اعمالهم

وكتب اليَّ في ٣٠ يناير سنة ١٨٧٠ يقول " ان نجاح المرسلين في تلك البلاد من اعجب ما يكون وقد اذهلني لانني كنت احسب ان اتعابهم ستذهب سدًى فهو نجاح عظيم وجيد لو جعلتموني عضوًا في جمعيتكم "

وكتب اليَّ سنة ١٨٧٤ يقول " لقد سررت جدًّا بما سمعتهُ عن الفيوجيين وهو من الغرابة بمكان عظيم " . وكتب سنة ١٨٧٩ يقول " ان تقدُّم الفيوجيين عجيب جدًّا ولولا حدوثهُ فعلاً ما كنت اصدق انهُ ممكن " . وكتب اليَّ سنة ١٨٨٠ يقول " ان الاخبار الَّتي بعثتَ بها اليَّ عن الفيوجيين عجيبة جدًّا وقد سررت بها سرورًا عظيمًا . واني طالما قلت ان نجاح يابان السريع اعظم اختبرية في الدنيا ولكنني اقول الآن ان نجاح فيوجيا يكاد يماثلهُ في غرابتهِ " . وكتب اليَّ سنة ١٨٨١ يقول " ان اخبار الفيوجيين سرَّتني وسرَّت كل عائلتي وان ما قيل عن امانتهم لفي غاية الغرابة . ولو سئلت عن رأيي قبل الآن لقلت ان كل المرسلين الذين في المسكونة يعجزون عمَّا فعلتموهُ في تلك البلاد" . وبعث اليَّ بالمال الذي يدفعهُ سنويًّا لدار الايتام في غرة دسمبر سنة ١٨٨١ وكتب يقول " ان اعمال المرسلين جارية احسن مجرًى على ما يظهر من جريدتهم " انتهى

وهذا شأن اهالي جزائر هواي (صندويج) فانهم كانوا نحو مئتي الف نفس لما زارهم القبطان كوك سنة ١٧٧٨ وقد قابلوهُ بالاكرام والترحيب ثم بدا منهُ او من رجالهِ ما رابهم فقتلوهُ . واختلط بهم الاوربيون والاميركيون بعد ذلك ففشت فيهم امراض التمدن وفتكت بهم فتكًا ذريعًا حتى لم يبقَ منهم الآن سوى اربعين الف نفس . الاَّ ان المرسلين دخلوا البلاد ايضًا فعلموا مَن بقي من اهاليها وهذَّبوهم والآن لا فرق بينهم وبين الاوربيين نزلاء بلادهم لا في الازياء ولا في المعارف ولا في المقام . وحكومتهم دستوريَّة النظاميَّة مثل احسن حكومات اوربا وقد كانت ملكيَّة ولكنهم خلعوا ملكتهم في الصيف الماضي ونادوا بالحكومة الجمهوريَّة وطايروا الانضمام الى الولايات المتحدة الاميركيَّة

واهالي زيلندا الجديدة كانوا نحو مئة الف نفس لما دخل بلادهم القبطان كوك الشهير

سنة ١٧٦٩ وكانوا اهل بسالة وكرم واباءة. ولغتهم افصح اللغات واطربها واصلحها للخطابة والغناء ولكن الاوربيين دخلوا بلادهم في اوائل هذا القرن وادخلوا اليها البنادق والمسكرات فاخذوا يقتلون بعضهم بعضاً ويعتدون على نزلاء بلادهم حتى اضطرت الحكومة الانكليزيَّة ان تستولي عليها . وقلَّ عددهم حتى لم يبقَ منهم الآن سوى ٤٢ الفاً . فبادر المرسلون الى اصلاح ما افسدهُ التجار والبحارة ونحوهم فصلح شأنهم وابطلوا عوائدهم القديمة ولا سيما عادة الوشم الذي كانوا يغطون وجوههم وابدانهم بهِ كما ترى في هذا الشكل وهو صورة

رئيس من روساء اهالي زيلندا الجديدة

رئيس من رؤسائهم . واعتنقوا الدين المسيحي وتزيوا بالازياء الاوربيَّة وصاروا يعلمون اولادهم مثل الاوربيين . وقد صار عدد الاوربيين هناك الآن نحو سبع مئة الف نفس وحكومتهم نيابيَّة وعدد نوابهم ٧٤ اربعة منهم من الوطنيين وسبعون من الاوربيين فللوطنيين مثل حقوق الاوربيين تماماً لان عدد نوابهم بنسبة عددهم وحقوق النساء هناك قد بلغت غاية ما يتمنَّاهُ النساء لان البالغات منهنَّ يشتركن في انتخاب النوَّاب كالرجال وتُنتخب النوَّاب والحكام منهنَّ ايضاً

وهذا شأن الكفرة سكان جنوبي افريقية فانهم كانوا مشهورين بالضيافة والامانة

والصدق وحسن التدين فلما دخل بلادهم الفاتح والتاجر فسدت آدابهم وتفرّق شملهم وتضعضعت احوالهم. ثم جاءهم المرسلون فاصلحوا بعض ما افسدهُ الذين سبقوهم. والآن ترى المدارس في تلك الارجاء عامرة بالطلبة والكنائس غاصة بالعباد وخدمة الدين فيها من الكفرة والزولو بهيئة تروق الناظر من حيث حسن البزة ومهابة الطلعة كما ترى في هذا الشكل.

صورة واحد من قسوس الزولو

وما قيل عن الكفرة والزولو ينال عن غيرهم من سكان غربي افريقية وجنوبيها فان اتصال الاوربيين بهم اضرّهم اولاً ثم نفعهم فارتقوا في درجات العلم والعرفان. وقد شاهدنا شبانهم في مدارس اوربا وسمعنا وعّاظهم يعظون باللغة الانكليزيّة مواعظ تدل على واسع علمهم وحسن تدينهم

وجملة القول ان اتصال الاوربيين بغيرهم ضارٌّ من جهة ونافع من أُخرى فاذا اقتصر الذين يتصل بهم الاوربيون على اقتباس ادواء العمران الاوربي كالسكر والخلاعة وابتاعوا منهم الاسلحة النارية ليقتل بعضهم بعضاً فمنهُ ضرر محض وقد يؤول الى انقراضهم. واذا اقتصروا على اقتباس العلوم والفضائل من علمائهم وفضلائهم واقتدوا بهم في الجد والعمل وحسن السياسة فمنهُ نفع عظيم لان الذين شادوا دعائمهُ قد انتفعوا منهُ وسادوا بهِ على اكثر المعمورة